إعجاز التصميم القرآني

■■ يصرح القرآن الكريم بان الخطة المثلى للانتفاع بآياته ينبغي ان تُدرك وفق اصل ترتيبه المنزّل . وإحكامه المعجز . تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٢) لانه لو رُكّب حسب ترتيب نزوله التاريخي لحصل خلل جسيم في اصل بناء وحدته الموضوعية : التي هي إحدى معجزاته الباهرة . ■■

بقلم : محمد بدر الدين [بن حسن]

ترتيب القرآن الكريم بوحي من الله تعالى

يقول الإمام المودودي رحمه الله في مقدمة تفسيره

. لو جُمع القرآن على الترتيب الذي نزل عليه : لما كان هذا الترتيب مجدياً ومفهوماً للعصور التي تلت عصر النبوة بدون ان يُضاف إلى القرآن تاريخ نزوله . وتاريخ الظروف التي نزل فيها كل جزء من اجزائه : كملحق للقرآن : الامر الذي كان ينافي الغرض الذي شاء الله لاجله ان يُدوّن كلامه ويُحفظ في مصحف

والله سبحانه وتعالى كان يريد ان يجمع كلاماً خالصاً نقياً لا تشوبه شائبة من الزيادات . ولا يمازجه كلام غيره . يُرتب على ما هو عليه من الإيجاز والإعجاز معنىً وصورةً لتيسير قراءته لكل فرد من الافراد . الصغير والكبير . المثاشيء والكهل . الرجل والمراة . الإنسان العادي والعالم الضليع . في كل زمان ومكان . في كل حال وواقع . وليدرك جميع الناس على الاقل - مهما اختلفت درجات عقولهم - ماذا يريد الله منهم وما لا يريده منهم : ومن الواضح ان لو اضيف إلى القرآن تاريخه المطول - وجعلت تلاوته امراً لازماً مع تلاوة القرآن - لضاع هذا الغرض .

تهافت المسلك الاستشراقي

على ان المستشرقين واتباعهم بسبب نزعتي الضالي والغرور . او بسبب الجهل والخلط المقصودين : اعتقدوا انهم بإثارة الشكوك حول منهج الترتيب القرآني إنما يكونون قد وجهوا ضربة قاصمة لمصداقية القرآن . واصالته . وعلى سبيل المثال : يزعم (بلاشير) في كتابه حول القرآن ان التنظيم المعتمد في مصحف عثمان تسبب في إحداث خلل لا دواء له في الترتيب التاريخي للنصوص المنزلة على محمد ﷺ : لان السور الطويلة موافقة للدعوة في المدينة بين سنة ٦٢٢ و٦٣٢ : اما السور القصيرة والمتوسطة وهي نصوص من الفترة المكية على العموم فإنها ترد في نهاية المصحف . ولقد شذ عن ذلك السورة الاولى - الفاتحة - والتي تعد بضع آيات فقط . وهي مدانة بوضعها في مستهل المصحف في إقامة الصلوات . ويمكننا القول إننا نقرا القرآن بتاريخ معكوس !!..

إن هذا الكلام فضلاً عن كونه مجرّد وصف لتكوين المصحف وبنيته الخارجية : يتهرب من حقيقة النفاذ إلى صميم الموضوع المتعلق بوحدة القرآن الموضوعية . وتناسق آياته . ولا يلتفت إليها من قريب او بعيد : لانها بحق احد اهم اسرار القرآن ووجوهه الإعجازية .

إن آيات الكتاب . ستكون وفق المقتضى السياق الذي يطرحه (بلاشير) . مجرد سرد تاريخي لجُل وقائع السيرة النبوية لا غير . وعلى سبيل المثال : لو سايرنا ذلك المنطق لتصبح قراءتنا لسورة العلق على النحو التالي : قراءة الجزء الاول منها في صدر المصحف باعتبارها اول ما نزل من القرآن : اما بقيتها فإنا سنلتمسها في اواسط سور المصحف لانها نزلت بعده ببضع سنين !!..

ولاستجلاء مظاهر التناسب والإتقان في آيات القرآن يحسن ان نعمد إلى سورة منه نلتمس من خلالها روعة التصميم القرآني لتفنيد مزاعم الاستشراق وكشف